حول جزيرة العرب

نظر اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

عسير والادريسي

قيل سابقاً انّ عسير من اليمن وانّما فصلها الاتراك عن اليمن لغايات سياسية واسم عسير مشتق من اسم قبيلة عُرفت بهذا الاسم اصلها من عنز بن وائل ذكرها الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب وموقع عسير شمالي اليمن تفصل اليمن عن الحجاز . وهي على قسمين قسم جبليّ وهو الذي يطلق عليه اسم عسير وقسم ساحلي يدعى تهامة . وجبال عسير مرتفعة تعرف بالسروات بينها اودية شتّى تسيل فيها المياه الزاخرة وجهة البعض منها الى الغرب والبعض الآخر الى الشرق . وقد امتاز بينها وادي بيشة بخصبه العجيب وكثرة غلّاته . قيل انّه يغلّ في السنة خمس غلّات متوالية من حبوب وبن وفواكه . وقد قسم الاتراك سنجق عسير الى سبع قائمقاميّات وهي أبها عاصمة عسير ثم خاص شمالي ابها ثم غامد ثم قنفذة التي هي مرفأ على البحر الاحمر ثم محايل ثم رجال المع ثم صبيا . واهل جبال عسير معروفون بقوتهم وبسالتهم في معامع الوغى . واصلهم يرقى الى قحطان وقسم منهم عدنانيّون . تبلغ قبائلهم ثلاثة ملايين نفساً

ذكرنا ان اسم اقليم عسير ورد لاوّل دفعة في تاريخ الوهابيين وان شيخه ابا نقطة تمذهب بمذهب الوهابيين واستولى بمساعدتهم على قسم كبير من اليمن فحكم على تلك الاصقاع الى ان قام حمّود ابو المسمار فحاربه وغلبه ثمّ قتله سنة ١٨١٤

ولمّا قدم المصريون بعد ذلك الى جزيرة العرب سيّر ابرهيم باشا سنة ١٨٢٤ فرقا من جنوده ليخضعوا بلاد عسير لدولته . لكنّ هذه الحملة لم تفز بالغاية المطلوبة . ورجعت مثلها باخيبة حملة ثانية أُرسلت في اثرها . ثم عاد المصريون في السنة ١٨٣٤ وما يليها وصمّموا النية لتذليل عسير لكنّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم يروا بُدّا من الانسحاب عنها بعد ان فتكت المجاعة والاوبئة بقسم كبير من ذويهم وبقي شيخ عسير عائض بن موسى مالكاً على بلاده دون منازع

ثمَّ مات الشيخ عائض فخلفهُ ابنهُ محمَّد فهمَّ بتوسيع املاكهِ. ثمَّ سار في اواخر سنة ١٨٧٠ الى تهامة وطرد من مدن السواحل عمَّال الاتراك وجنودهم وضمَّها الى عسير واعلن بسيادتهِ عليها . لكن الدولة العثمانيَّة لم تُغمض على الضيم فارسلت سنة ١٨٧١ عدَّة طوابير من عساكرها تحت امرة رديف باشا فاستردَّت المدن الساحليَّة والجأت شيخ عسير الى الفرار نحو حدوده الجبليَّة . وبقي هناك خاملًا حتى وفاتهِ . ثم سكتت الصحف عن اخبار عسير زمناً حتَّى قام السيِّد الادريسي المعروف بالمهدي اليمنيّ

اسم الادريسي محمَّد بن عليّ ابن السيِّد احمد بن ادريس قيل انَّ اصلهُ من بربرة من جهات الصومال وقيل بل هو من الجزائر . ويحكى عن جدّهِ احمد ادريس انهُ وُلد ببلدة من اعمال مرَّاكش ثُم عاش في شمالي افريقية وفي اواخر عمرهِ حجَّ الى مكَّة واقام بها عدَّة سنين يعلِّم فيها العلوم الدينيَّة والتصوُّف . فدخل كثير من اهلها في طريقتهِ من جملتهم السيد محمَّد السنوسي . ثمَّ رحل الى اليمن وانقطع هناك الى اعمال الزهد ومات في صَبيا حيث يزار قبرهُ ويرقُون اصلهُ الى السلالة النبويَّة

وقد قضى حفيده المعروف اليوم بالسيِّد الادريسي قسماً من حياتهِ في مرَّاكش وهو ضعيف الحال يرتزق بالتجارة . فلمَّا اكتهل خرج من بلدهِ ليزور مشهد جدّهِ في اليمن فدخل صَبيا وثابر هناك علانية على اعمال التقى فجلب اليهِ نظار الاهلين ثمَّ قصد مصر فتلقَّى فيها العلوم في الازهر . واجتمع هناك ببعض اعداء الدولة التركيَّة فدفعوهُ الى الاستيلاء على اليمن ولا سيَّما عسير وتهامة ليخلّصهما من نير بني عثمان . فأشرب عقلهُ من هذه الافكار وعاد الى صَبيا وجعل يبثُّ الفتنة في اليمن ويتحيَّن الفرص المناسبة لتنفيذ اغراضهِ . فلمَّا انقلبت الحكومة الحميدية وأُعلن بالدستور دعا اليهِ عرب اليمن فتجمَّعوا حولهُ زرافات ووحداناً فأدى بهِ اجتماعهم الى ان يدعوهم الى الاستقلال وتحرير بلادهم من نير الاتراك فوجد لصوتهِ صدى بين الاهلين ولمَّا اكتمل عددهم اعلن بصفتهِ مهديًّا ومشى في مقدَّمتهم وهجم على الاتراك الضابطين لليمن فمزَّق شملهم

وقد وافقت دعوةُ السيِّد الادريسيّ في عسير وتهامة حركةَ الامام يحيى في صنعاء دون ان يتَّفقا لانَّ الامام يحيى من الشيعة الزيديَّة والادريسي من اهل السنَّة . لكنَّهما

بعد حين عرفا انَّ في جَمْع كلمتهما خيرًا وغايتُهما واحدة تحرير وطنهما فتناصرا على محاربة الاتراك سنة ١٩٠٩ فخاف السلطان من اتساع الخرق وارسل قوّات لاخماد الثورة. وجاء في مذكّرة نشرتها وقتئذ الحكومة التركيّة انَّ زعماء اليمنيين قطعوا المواصلات بين صنعاء والمرابط العسكريّة في الجبال. وتحقّقت الدولة انَّ غاية الادريسي والامام يحيى واحدة وهي الاستئثار بالسلطة في اليمن وعسير. على انَّ الحكومة ظلّت تأمل حلّ الاشكال بالتؤدة حقنًا للدماء. فارسلت متصرفًا وقومندانًا لعسير سعيد باشا ومعهُ جيش تحت قيادتهِ. فلمَّا وصل الى جيزان وهي مرفأ صَبيا ارسل الى الادريسي وفدًا يرأسهُ الشيخ توفيق الارناوودي ليقف على نواياهُ. وكان الادريسي لم يحشد بعد ما يعوّل عليهِ من الجنود فلمَّا قابلهُ الوفد انكر كونهُ عاصيًا على الدولة واظهر الاخلاص لخدمة السلطان محمّد رشاد وأكّد انهُ لا يريد الّا إصلاح القبائل خلافًا للامام يحيى. وكرّر اقوالهُ لسعيد باشا لمَّا حضر الى صبيا وطلب منهُ ان ترفع الدولة الضرائب القديمة عن الاهلين وتقنع بالزكاة الشرعيَّة من المحصولات الزراعيَّة والمواشي وان تتكلّفهُ بجمع الزكاة على شرط ان يأخذ هو ثلثها

فرضي سعيد باشا بذلك وسمح للادريسي بتأليف جيش من الوطنيين لتنفيذ اوامر الدولة كما زعم وكتب لهُ عَقد اتّفاق في ما طلبهُ وارسل الى قبائل تهامة وعسير كتبًا يأمرهما بالخضوع لاوامر الادريسي ليتمكّن من الاصلاح فيهم فرضوا برسومهِ. ثمَّ سافر سعيد باشا الى اليمن لمحاربة الامام يحيى الذي كان مصرًّا على ثورتهِ وانضمَّ الى الجيش المحارب هناك ليخمد الفتنة في تلك الجهات ويعيد السلام لاهلها

فلمَّا ابتعدت جيوش الدولة من عسير صفا الجوّ للادريسي وجعل ينفخ نار الثورة على تركيَّة بين القبائل فقويت شوكتهُ وامتدَّت سلطتهُ وارسل سرًّا الى الايطاليين كي يعضدوهُ في سواحل اليمن باسطولهم فاجابوا الى دعوتهِ. فما مرَّ عليهِ بضعة شهور من السنة ١٩١٠ حتّى استفحل الشرّ وصارت قبائل عسير طوع امرهِ

ولمَّا آنس من نفسهِ القوَّة جاهر بمحاربة الاتراك وارسل الامراء من قبلهِ الى جهات تهامة وعسير بعد طرد عمّالها من قبل الدولة. وفي السنة ١٩١٠ سار بجنودهِ الى مرابط الجنود العثمانيَّة فشتَّت شملهم فلم يبقَ منهم سوى المرابطين في ابها ومعهم

المتصرف سليمان باشا فحاصروهم وشدّدوا عليهم الحصار وقطعوا عنهم المؤن حتّى اكلوا الهرر والكلاب ومات اكثر العسكر جوعاً

حملة عزت باشا وامير مكة على عسير — الادريسي حاضراً

واستمرّ الحصار عشرة اشهر الى ان عهدت الدولة الى عزّت باشا والى امير مكّة (سلطانها الحالي) حسين باشا بانقاذ المحاصرين وقطع دابر الادريسي فتوجّهت جموعهم المركّبة من العساكر النظاميّة ومن الاشراف والعرب وكان مع امير مكّة نجلاهُ الاميران عبدالله وفيصل فتوغلوا في جهات تهامة وعسير في ربيع سنة ١٩١١ وزحفوا ظافرين الى أبها وأفرجوا عن عساكر الدولة. امّا الادريسي فنزح من وجههم الى داخل البلاد

وقد قرأنا خطبة دولة الامير حسين يوم دخوله الى ابهـا وفي نصّها الشائق عبرة للمعتبرين وهو الذي شقّ بعد ذلك عصا الاتراك فها نحن نوردهـا بحرفها الواحد كما رواها احـد اشراف مكّة عبد المحسن البركاتي في تاريخ هذه الحملة ليرى القرّاء تقلّب الناس في سياستهم واستنادهم الى الدين حسب غاياتهم (اطلب كتابه الرحلة اليمنيّة ص١٤٣):

أيّها الاخوان اعلموا علم اليقين انهُ لولا هذه الدولة العثمانيّة وشدّة اعتنائها خلفائها بالامّة الاسلاميّة خصوصاً مولانا امير المؤمنين الحالي لاختطفتكم الدول الاجنبيّة اختطاف الذئاب للفئ المنفردة (كذا!) فـانّ جميع الدول ساعية من زمن بعيد في اضمحلال الشريعة المحمّديّة بواسطة هؤلاء المغرورين الذين يخدموها لاغراضهم الشخصيّة (كذا!). اخواني هل يرضيكم افعال هؤلاء الثلة الساعين في تخريب بلادكم باسم الحقّ ولا أدري كيف اغتررتم لهؤلاء ولامثالهم وانتم أولو العقول الراجحة والنخوة العربيّة الاصليّة. آباؤكم الاولون كانوا عزّ العرب وعنهم ورثتم الهمم العالية. ألستم ابناء التابع؟ ألستم الذي (كذا) قال فيكم جدّي رسول الله صلعم: العلمُ يمانٍ والحكمة يمانيّة؟ ألستم انتم ابناء اسلافكم الكرام الذين اشتهروا بالذكاء (كذا) الفطري والمجد المؤثل فالله الله يا أبناء الأمّة العربيّة في دينكم لا تضيعوهُ بل احفظوهُ واستظلوا بظلّ الراية العثمانيّة التي هي شعار الاسلام (كذا!) ولا تغتروا باقوال المفسدين الساعين في تنفيذ اغراض المحرّكين لهم اعداء الدين الاسلامي وانتم لطيب عنصركم وعدم معرفتكم بالسياسة الاجنبيّة تظنّون انهم انّما يخدمون الدين مع انّهم والله عن الدين بمعزل لا يخدمون الّا اغراضهم الشخصيّة مستترين باسم الدين فاحذركم ان لا تغتروا بمثل

هؤلاء الاوغاد المارقين من الدين بل كونوا مطيعين لامير المؤمنين ولتعلموا انّ من خالفهُ خالف الله ورسولهُ ومن خالفهما فقد باء بغضب من الله وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين !!

ثمّ رجع امير مكّة الى الحجاز امّا عزّت باشا فسار الى محاربة الامام يحيى فنال بعض الفوز من العصاة ودخل صنعاء. واستدعى اليهِ شيوخ اليمن وعسير وبيّن لهم ما ينتج عن مقاومتهم للدولة من الآفات لهم ولبلادهم بدلاً من ان يعضدوها في محاربتها للدول البلقانيّة الاجنبيّة. فأخذ كلامهُ ثائرتهم وهدأت الامور بعد ذلك برهة واخلد اليمنيّون الى السكينة. وكذلك الادريسيّ بقي في عزلتهِ ينتظر فرصة اخرى لمعاودة حرب العثمانيين

ولمّا انتشبت الحرب العموميّة الاخيرة تقرّبت الدول الائتلافيّة الى اليمنيين واكّدوا لزعمائهم انّهم لا يمسّون استقلالهم ان لزموا الحياد وامتنعوا عن كلّ فعل عدائي مع المؤتلفين. والمرجّح انهم الآن في راحة وسلام مع قلّة ما يبلغنا من اخبار تلك الاقطار القاصية

وجاء في خطاب الوزير بلفور في دار الندوة الانكليزية في اوائل السنة ١٩١٧ انّ السيّد ادريس انتهز فرصة الاحوال الحاضرة فرفع راية العصيان على الاتراك على خلاف الامام يحيى الذي بقي على ولائهِ لهم وسار بجنودهِ الى قنفذة على سيف خليج العرب فاستولى عليها

تجديد فنّ الجراحة على يد الدكتور كارّل

بقلم الاب رفائيل خاله اليسوعيّ

من ابعد الجرّاحين بل العلماء شهرةً الدكتور الكسيس كارّل (Carrel) الذي حاز من سبع سنوات جائزة نوبل (Nobel) البالغة ٢٠٠،٠٠٠ فرنك لاكتشافاتهِ واختباراتهِ التي اهتزّ لها العالم اندهاشاً وفرحاً فانّها والحق يقال فاتحة عصر جديد لفنّ الجراحة رغماً عن الآيات التي ارانا اياها اربابهُ في الجيل المنصرم. ولكن قبل سرد اختبارات هذا النابغة يجدر بنا ان نقدّمهُ للقراء باقوال وجيزة